

ودفع الأفكار من أعلى الشواهد، وقد انتكست، فأصبح أسفلها أعلاها فلا أتساق ولا انتظام، وإنما تشويش واضطراب. واستمع إلى هذه النادرة التي يرويها ابن سودون في باب الحكايات الملافية:

"قال ابن غيدشة الزلابياني: كنت - وأنا صغير - بليداً لا أصيب في مقال، ولا أفهم ما يقال، فلما نزل بي المشيب زوجتي أمي بامرأة كانت أبعد مني ذهنًا، إلا أنها أكبر مني سنًا، وما مضت مدة طويلة حتى وكُدت، والتمست مني طعاماً حاراً، فتناولت الصحيفة مكشوفة، ورجعت إلى المنزل آخذة المكبة (غطاء الصحيفة) ونسيت الصحيفة، فلما كنت في السوق تذكرت ذلك، فرجعت وأخذت الصحيفة ونسيت المكبة، وصرت كلما أخذت واحدة نسيت الأخرى، ولم أزل كذلك حتى غربت الشمس، فقلت: لا أشترى لها في هذه الليلة شيئاً، ودعها تموت جوعاً، ثم رجعت إليها، وإذا هي تنن وإذا ولدها يستغيث جوعاً، فتفكرت كيف أربيه وتحيرت في ذلك، ثم خطر ببالي أن الحمامة إذا أفرخت وماتت ذهب زوجها والتقط الحب، ثم يأتي ويقذفه في فم ابنه، وتكون حياته بذلك، فقلت: لا والله: لا أكون أعجز من الحمام، ولا أذغ ولدي يدوق كأس الحمام. ثم مضيت وأتيت بجوز ولوز، فجعلته في فمي، ونفخته في فمه فرادى وأزواجاً، أفواجاً أفواجاً، حتى امتلأ جوفه، وصار فمه لا يسع شيئاً، وصار يتناثر من أشداده، فسرت بذلك وقلت لعله قد استزاح، ثم نظرت إليه، وإذا به هو قد مات، فحسدته على ذلك، وقلت يا بني: أما إنه قد انحط سعد أمك، وسعدك قد ارتفع؛ لأنها ماتت جوعاً وأنت مت من الشبع، وتركتهما ميتين، ومضيت آتيهما بالكفن والحنوط، ولما رجعت لم أعرف طريق المنزل، وهما أنا في طلبه إلى يومنا هذا."